استراتيجيات الثقافة الإسلامية في عالم اليوم

المؤتمر الثاني للتجديد والاجتهاد الفكري
عند الإمام الخامنئي (دام ظله)

© جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

ISBN 978-614-440-047-0

[٢٠١٥م - ١٤٣٧هـ]

دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah

العنوان: لبنان - بيروت - سان تيريز - سنتر يحفوفي - بلوك c - ط ٣
تلفاكس: ٠٠٩٦١٥٤٦٢١٩١ - email: almaaref@shurouk.org

بسم الله الرحمن الرحيم

المهدوية كاستراتيجية حضارية وثقافية

محمد هادي همايون(*)

في عالمنا المعاصر، وعلى أثر تجديد حياة الفكر الإسلامي، كإحدى مكتسبات الثورة الإسلامية المباركة، ازداد الاهتمام بموضوع المهدوية بصورة ملفتة جدًا كونها تمثل عصارة كتاب اللّه وعترة النبي الأكرم ﷺ، وقمة بعثة الأنبياء العظام سلام اللّه عليهم أجمعين. وقد امتد هذا الاهتمام وتوسع ليشمل علامات الظهور في المجتمع المعاصر.

إن تتبع الآيات والروايات المرتبطة بعلامات الظهور وبعصر آخر الزمان والبحث فيها، والسعي لاستخراج الاستراتيجيات الأساسية للشيعة في عصر الغيبة، وخصوصًا عند اقتراب الظهور، يؤسس لمنهج جديد في التعاطي مع الدراسات المرتبطة بالمهدوية وآخر الزمان يمكن أن نطلق عليها عنوان التعامل الاستراتيجي مع المهدوية.

يمكننا من خلال مطالعة الروايات والعلامات ودراستها أن نصور الظروف الخاصة بآخر الزمان وعصر الظهور على هذا النحو: إن الأحداث لن تقع على مستوًى جزئي أو على شكل طفرات مقطعية أو تغيير حكومة سياسية على مستوى إقليم محدد، بل إن امتداد هذه الأحداث سيكون عالميًا وسيكون من

---

(١) معيد في كلية المعارف الإسلامية والثقافة والعلاقات العامة في جامعة الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ.

العمق بحيث ينفذ إلى جميع زوايا الحياة البشرية؛ وهذا إنما يدل على زوال الحضارة وانتقالها وإقامة حضارة عالمية إلهية عقبها. ويمكن تسمية هذا الاتجاه بالاتجاه الحضاري نحو المهدوية، إلى جانب التعامل الاستراتيجي.

وعند توسعة هذا المفهوم ودراسة الأدبيات التاريخية للحضارة نصطدم بهذه النقطة وهي أن كل أطروحةٍ فكرية قد شكلت مفهومًا محوريًا لتحليل التاريخ وقد تم السعي لتحليل تاريخ الحضارات البشرية على أساسها. وفي هذا المجال وعلى ضوء المهدوية، يمكن السعي لتوضيح مقولة «صراع الحق والباطل» كمفهوم محوري ذات منحًى مغاير تمامًا لتاريخ الحضارة.

وديعتا الرسول ﷺ

ترك النبي الأكرم، نبي رحمة العالمين ﷺ، لأمته في أيامه الأخيرة على هذه الكرة الأرضية، وديعتين لطالما شكلتا مورد قلقه حول المستقبل، وقد أوصى بهما بصورة جدية وأكد عليهما كثيرًا، وهما القرآن والعترة «إني تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي»[1].

فأمة النبي ﷺ ستواجه من بعد شهادته مرحلةً صعبةً جدًا، لا يمكنها أن تقطعها من دون التمسك بهذين الثقلين الكبيرين، بانتظار أن يأتي ذلك الزمان الذي يتحقق فيه الوعد الإلهي الكبير، على أثر هذا الجهاد البشري العظيم، فيظهر عزيزمن نسله يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد أن تكون قد ملئت ظلمًا وجورًا، ويقيم العدالة الاجتماعية.

وقد أشار النبي ﷺ في تتمة هذه الوصية إلى حقيقة نفيسة جدًا وهي

(١) الشيخ الحر العاملي، **وسائل الشيعة** (قم: مؤسسة أهل البيت، ١٤٠٩ هـ‍ـق)، الجزء ٢٧، الصفحة ٣٤.

أنه لا يمكن لهذين الثقلين أن يفترقا في أي مقطع من الزمان حتى يصلا إلى حوض الكوثر: «وإنهما لا يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». فأهل البيت سلام اللّه عليهم أجمعين هم القرآن الناطق والمفسر الواقعي لكتاب اللّه، وكتاب اللّه في المقابل هو المبين لمقامهم الشامخ، فما من فضيلة أو منقبة في ذواتهم المقدسة صلوات اللّه عليهم أجمعين إلا وفيها تفسير أو تأويل لآية من آيات القرآن الكريم، نحتاج إلى التعلم منهم لأجل فهمها. ومثل هذا الارتباط الذي لا ينفصم ينعكس في مرآة الوحي بهذه الطريقة: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[1].

وفي تفسير هذه الآية، روي عن باب الحوائج موسى بن جعفر سلام اللّه عليه، نقلًا عن آبائه العظام عن الإمام السجاد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما يؤيد هذا المطلب: «حدثني موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: «الإمام منا لا يكون إلا معصومًا، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، فلذلك لا يكون إلا منصوصًا. فقيل له: يا بن رسول اللّه، فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل اللّه، وحبل اللّه هو القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة، فالإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول اللّه عز وجل: إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم»[2].

لا شك بأن ذكر هذه القضية للمسلمين، الذين سيمتحنون من بعده بفتن وامتحانات كبرى، يحتوي على معارف عظيمة ومخارج مهمة لطي هذا الطريق، ولكن مع كل التحسر والتأسف فإن ما جرى بعد النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على رسالته وأمته يدل على أنه لم يتم طوال التاريخ إظهار التقدير لهاتين الوديعتين اللتين تركهما لنا خاتم المرسلين بما يليق بهما، فضاعت الأمة الإسلامية في متاهات

---

(١) سورة **الإسراء**، الآية ٩.

(٢) السيد هاشم البحراني، **البرهان في تفسير القرآن** (طهران: مؤسسة البعثة، ١٤١٥ هـ.ق.) الجزء ٣، الصفحة ٥٠٩.

التاريخ وأضحت وحيدة من دون هادٍ وسلكت طريق الضلالة.

«فلعل جملة لا يفترقا حتى يردا عليّ الحوض إشارة إلى أن كل ما ألم بأي من الثقلين بعد الوجود المقدس لرسول اللّه ﷺ وسلم قد أصاب الثقل الآخر أيضًا، وإنّ هجر أي منهما هو هجر للآخر، حتى يرد هذان المهجوران الحوض على رسول اللّه ﷺ. وهل أن هذا الحوض هو مقام اتصال الكثرة بالوحدة واضمحلال القطرات في البحر، أم هو شيء آخر لا سبيل للعرفان والعقل البشري إلى إدراكه؟[1]

مع وجود هذا الهجران، الذي كان في بعض الموارد بالطبع تحت عنوان سعي المنافقين لإخفائه وطمسه، فإن هذين الثقلين العظيمين قد أظهرا، عبر هذا التاريخ الممتد بعد النبي ﷺ، الكثير من التجليات العظيمة والجذابة وكان لهما تأثيرات متفاوتة على جماعة هنا وجماعة هناك. فمع مرور الأيام، ظهرت جماعةً احتارت في لفظ القرآن وأوصلت فن القراءة إلى أوجها؛ وتاهت أخرى في ظاهره وأتقنت فنون الكتابة والتذهيب وابتكرت فنونًا عديدةً في هذا المجال؛ وأسست جماعات أخرى لمذاهب مختلفة في التفسير بالاستمداد من هذا الثقل الأكبر؛ وانشغلت كل واحدة من هذه الجماعات بجانبمن هذه المعجزة الكبرى للنبي الخاتم ﷺ. فقد عد بعضهم القرآن كتابًا في العلوم ولعلهم استفادوا منه الكثير من الفوائد، وبعضهم الآخر رأوا فيه كتابًا أدبيًا وأوجدوا بواسطته تحولات أدبية مهمة وغيرها، لكن أيًا من هؤلاء لم يتمكن من السير خطوةً إلى الأمام دون الثقل الآخر وهو أهل البيت، وذلك لأنه لا يمكن للإنسان أن يصل إلى مقام الكوثر إلا بهذين الثقلين معًا.

---

(١) الإمام روح اللّه الموسوي الخميني، **صحيفة الثورة الإسلامية: الوصية السياسية الإلهية ـ الركائز الإلهية للجمهورية الإسلامية الإيرانية**، (طهران: مؤسسة ثقافة قيمة الولاية، ١٣٧٨ هـ.ق، الطبعة ١٠) الصفحتان ١ و٢.

وقد جرى على أهل البيت عليهم السلام ما جرى على كتاب اللّه. لقد كان رئيس سلسلة الولاية أمير المؤمنين عليه السلام رجلًا جمع الأضداد، فالبعض مدحوا شجاعته، وآخرون بلاغته، وجماعةً أخرى علمه، ورابعة فناؤه في العبادة ولطافة روحه، ولكن لم يجد أي من هؤلاء طريقًا إلى باطنه، بل حتى أنهم ضلوا به كما قال: يهلك في جماعة وذلك لأنهم قرأوه دون القرآن. والأصل هو أنه لا يمكن لهذين الثقلين أن يفترقا عن بعضهما، وهكذا، عرف الأئمة المعصومون من بعده، كل بصفة محددة في مضائق الزمان، فهناك من عرف بالحلم ومدح به، وآخر بالعلم وثالث بالشجاعة، ورابع بالعبادة وهكذا...

ولم تسلم روايات المعصومين سلام اللّه عليهم في هذا المجال، والتي تمثل نقطة التقاء القرآن والعترة، من هذه المهجورية وذلك لأنها كانت حاويةً على روح القرآن ودليل على أهل البيت. علاوة على ذلك، فقد تم التطاول على هذه الروايات، ولم يقتصر ذلك على مرحلة منع نقل الحديث، بل أعقبها هجوم الإسرائيليات الغادر وتلفيق الروايات ودسها بين هذه الجواهر النفيسة من أجل أن يختلط الحق بالباطل في هذا السوق الذي يفترض أن يستفيد المسلمون منه كنهج حياة وعمل، لا سيما في مرحلة الغيبة الكبرى المليئة بالفتن، وأن يسيروا في طريق الانحراف والضياع. وهناك عدة آلاف من بين هذه الروايات، إلى جانب آيات القرآن التي لا تحصى، ترتبط بوجود إمام العصر المقدس روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء، وحكومته والظروف العالمية المحيطة بقرب ظهوره وعلامات الظهور، هي أيضًا لم تسلم من هذا التطاول الذي جرى على الروايات.

العالم المعاصر والاهتمام بعلامات الظهور

من جانب آخر، في هذا العالم المعاصر، وعلى أثر تجديد حياة الفكر الإسلامي كإحدى مكتسبات الثورة الإسلامية المباركة، التي كانت بدورها ثمرة المساعي

الحثيثة للأنبياء والأولياء الإلهيين سلام اللّه عليهم أجمعين وعلماء الدين الكبار عبر القرون المتمادية من أجل إعلاء كلمة اللّه وإقامة الحكومة العالمية في الإسلام، فإن الاهتمام بموضوع المهدوية قد ازداد ازديادًا ملحوظًا كونها تمثل عصارة كتاب اللّه وعترة النبي الأكرم ﷺ وهدف بعثة الأنبياء العظام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

أولئك الذين يعرفون إمامهم الحي يعدون اللحظات من أجل النظر إلى طلعته الرشيدة، وأولئك الذين ينتظرون مصلحين آخرين يرون الظهور الموعود في آخر الزمان قريبًا، وبالطبع، أولئك الذين لا يؤمنون بأي موعود أو خاتمة للتاريخ يعيشون حرقة الانتظار للوصول إلى العدالة العالمية ومثل هذا الشوق والتوق هو بالظاهر ما أشير إليه في روايات الظهور: «إذا نادى منادٍ من السماء أن الحق في آل محمد فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس ويُشربون حبه ولا يكون لهم ذكرٌ غيره»[1].

في هذه المرحلة، يبدو أن هناك منهجًا جديدًا في طور التشكل بين المناهج المختلفة القرآنية والروائية والفلسفية والتاريخية والكلامية والعرفانية والأدبية، فيما يرتبط بقضية المهدوية، التي كان لها حضور حقيقي عبر تاريخ الغيبة، وذلك على أثر التعرف على علامات الظهور في القرآن الكريم وروايات المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين، والسعي من أجل تطبيقها على الظروف العالمية المعاصرة؛ وفي النهاية، نتيجة التنبه لهذا الموضوع حيث أن ظهور موفور السرور وقطب الإمكان روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء، سيكون قريبًا جدًا كنتيجة وثمرة حضارية للثورة الإسلامية، أو يمكن أن يكون وشيكًا جدًا. إن هذا التيار الذي بدأ أساسًا مع كتابة وترجمة كتاب **يوم الخلاص** لكامل سليمان في لبنان، ومن

(١) كامل سليمان، **يوم الخلاص**، ترجمة: علي أكبر مهدي بور (طهران: نشر الآفاق، الطبعة ٤، ١٣٨١)، الصفحة ٨٨٦.

ثم مع كتاب **عصر الظهور** لحجة الإسلام علي كوراني، قد منحه روحًا جديدة وتم استقباله والترحيب به بصورة ملفتة، وفي الوقت نفسه فقد واجه اعتراضات جدية من جانب آخر.

أهم هذه الاعتراضات على هذا النوع من النظر إلى آخر الزمان هو أن تتبع علامات الظهور والسعي لتطبيقها على مرحلة زمانية خاصة يعد من مصاديق تعيين التوقيت الذي نهي عنه بصورة جدية في عصر الغيبة، فقد نقل عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: «كذب الوقاتون وهلك المستعجلون ونجا المسلمون وإلينا يصيرون»[1].

بالنظر الدقيق إلى مضمون هذه الرواية، نستنتج أن ما نهي عنه هو تعيين الوقت بمعنى الزمان الدقيق للظهور لا بمعنى إعلان قرب الظهور والذي يعد، بناءً على تصريح الآيات والروايات، أمرًا محمودًا كلف الشيعة بالاعتقاد به دائمًا: «إنهم يرونه بعيدًا ونراه قريبًا».

إن استعمال صيغة المبالغة في هذا النهي، والذي تؤيده شواهد تاريخية عديدة أيضًا، يدل على وجود جماعة في تلك المرحلة التاريخية الحساسة كانت تقوم دومًا بتعيين وقت الظهور، وكلما مر الزمان وكشف عن كذبهم قاموا بتعيين زمانٍ آخر. ولم يكن لمثل هذا المنهج من أثر سوى تلويث ساحة موضوع المهدوية وبالتالي هجران آلاف الروايات المرتبطة بآخر الزمان والتي لها دور مصيري في حياة الشيعة،نجد هنا إذًا أن النهي عن التوقيت إنما يحكي عن هذه الواقعية وهي سعي الأئمة المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين لحفظ هذه الروايات والاستفادة الصحيحة منها؛ فهل يعقل بعد ذكر آلاف الروايات عن النبي الأكرم

(١) محمد باقر المجلسي، **المهدي الموعود؛ بحار الأنوار**، ترجمة علي دواني (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٥٠)، الجزء ١٣، الصفحة ٨٦٢.

ﷺ والأئمة المعصومين عَلَيْهِ السَّلَامُ عبر السؤال والجواب عن طريق شيعتهم، والتي حفظت على مر الزمان بمجاهدات حثيثة حتى وصلتنا، فهل يعقل بعد ذلك نهينا عن الاستفادة منها والتعامل معها؟ فلا عبث في ساحة الحق المقدس سبحانه وتعالى عما يصفون.

وقد نقل في هذا المجال حديث لا يكتفي بعدم النهي عن هذا الأمر، بل يحث الشيعة على تتبع علامات الظهور. ففي الحديث أن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كان يذكر علامات الصيحة من السماء كإحدى العلامات الحتمية للظهور، فقال: «ينادي منادٍ من السماء أن فلانًا هو الأمير وينادي منادٍ أن عليًا وشيعته هم الفائزون. قلت: فمن يقاتل المهدي بعد هذا؟ فقال: إن الشيطان ينادي أن فلانًا وشيعته هم الفائزون لرجل من بني أمية. قلت: فمن يعرف الصادق من الكاذب؟ قال: يعرفه الذين كانوا يروون حديثنا ويقولون إنه يكون قبل أن يكون ويعلمون أنهم المحقون الصادقون»[1].

التعامل المنهجي مع علامات الظهور

يمكن أن يطرح في البين هذا السؤال وهو أنه إذا لم يكن تتبع علامات الظهور مصداقًا لتعيين الوقت فما هي الفائدة منه؟ وما هي الفائدة من وراء كل هذه الروايات التي يصل تعدادها إلى عدة آلاف على صعيد حل مشاكل الشيعة في آخر الزمان؟ وما الذي ينبغي أن يفعلوه مع كل هذا العدد الكبير من الأحاديث؟ الجواب الأسهل الذي يمكن أن يُقدم على هذا السؤال هو أن المؤمنين في آخر الزمان إذا رأوا هذه العلامات وتوالي وقوعها يزداد شوقهم وأملهم في قرب الظهور ويعدون أنفسهم أكثر لاستقباله.هذا التفسير وإن كان صحيحًا إلى حدٍ ما ومناسبًا

(١) محمد بن إبراهيم النعماني، **الغيبة** (طهران: مكتبة الصدوق، ١٣٩٧ هـ ق)، الصفحة ٢٦٤.

ولكن ينبغي أن نلتفت إلى أن منشأ هذا النوع من النظر هو أمر انفعالي تجاه ظاهرة الظهور المقدسة، وكأن المطلوب منا وفق هذه الرؤية أن نجلس وننتظر هذا الظهور؛ وفي هذه الحالة ليس علينا أن نقوم بأي شيء لأجل تحقق هذا الظهور بل نكتفي بالجلوس والدعاء والنظر إلى العلامات كونه كافيًا لنزداد أملًا.

جاءت الثورة الإسلامية وشطبت على مثل هذا الاعتقاد من خلال شعار تهيئة الأرضية للظهور. فالظهور ميسر في أي زمان وإمامنا روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء، ليس غائبًا، وإنما نحن عن محضره غائبون وعلينا أن نسعى للاتصال بنهضة ظهوره. وهكذا، نكون في حركة فاعلة عندما نتجه نحو الظهور، ولا نكون منفعلين في انتظارنا وجلوسنا. وعلى هذا الأساس، يجب أن تكون علامات الظهور نوعًا من التعاطي الفعال مع هذه القضية الحساسة، وتمثل تلك الروايات في الواقع أداةً لدفعنا وحثنا على التحرك الإيجابي للوصول إلى ذلك الهدف الكبير، فهي تقوم بهدايتنا نحوه لا ينتبه الغافلين باقتراب موعد تحققه.

ونستنتج من هذا الكلام أن أهم مناهج التعاطي مع علامات الظهور هو هذا التعاطي الاستراتيجي. ففي الواقع، إن علامات الظهور بتصويرها المستقبل الآتي بنحو كامل وواضح وجلي، تقول لنا كيف ينبغي لنا أن نتحرك باتجاه الظهور وما هي مسؤولياتنا ووظائفنا في المراحل الزمانية المختلفة. وقد تم تصوير هذا المستقبل على مقطعين زمانيين قبل الظهور، وقبل حكومة حضرة المهدي روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء. فإن تتبع الآيات والروايات المرتبطة بعلامات الظهور وبعصر آخر الزمان والسعي لاستخراج الاستراتيجيات الأساسية للشيعة في مرحلة الغيبة، في الزمن الذي يقرب من الظهور، يقدم رؤية جديدة للتعامل مع الدراسات المرتبطة بالمهدوية وآخر الزمان، يمكن أن نطلق عليها عنوان: التعامل الاستراتيجي مع المهدوية، ومثل هذا التعامل يجري على المستويين الفردي والاجتماعي، ولا سيما الحكومي، تحت عنوان النجم الهادي للمخططين وواضعي

السياسات العامة في النظام الإسلامي.

وما يمكن استخراجه من بين روايات آخر الزمان، تحت عنوان «استراتيجي» على المستوى الفردي، يرتبط أكثره بالخصائص والصفات العامة لأنصار الإمام روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء، والذي يبدو أن نقل أكثرها إنما كان من أجل أن يربي المؤمنون والمنتظرون أنفسهم على أساسها، فيستعدوا بذلك للظهور استعدادًا حقيقيًا. وبالطبع، بعد تشكيل الحكومة يتضح أيضًا أن مثل هذه الموارد، التي كانت بحسب الظاهر فرديةً بحتة، ستشكل أيضًا عنوانًا عامًا لاستراتيجيات حكومية على مستوى وضع هذه البرامج والسياسات لكل الذين يتولون قضايا التربية والتعليم. كمثال ما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ بخصوص أصحاب الإمام المهدي روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء، حيث جاء أن اللغة التي يستعملونها، وإن لم يكونوا من العرب، هي العربية[1].

وبنظرة استراتيجية إلى هذه الروايات، نستنتج أن مسؤولية تعلم اللغة العربية ونشر تعليمها على المستوى العام هو من العناوين الاستراتيجية الجدية للتحرك نحو الظهور والتي يجب أن يهتم بها المؤمنون والدولة الإسلامية.

ورغم أهمية هذا الموضوع حاليًا، وخصوصًا بالالتفات إلى الظروف الزمنية المعاصرة ووضع الأمة الإسلامية، وموقعية اللغة العربية كلغة لتوحيد العالم الإسلامي وكونها لغة القرآن الكريم، لكن القضية المهمة هنا هي أنه رغم وجود مثل هذا التوجيه بين أيدينا منذ مئات السنين،لكننا قليلًا ما توجهنا إليه بل لم نقم بأي شيء يذكر مقابل هذا الهجوم الغادر ضد اللغة العربية ومنع رواجها، لا سيما في السنوات الأخيرة للحكومة البهلوية في إيران.يبدو أنه بعد هذه الغفلة الطويلة بدأت تظهر علامات الاهتمام الجاد بدراسة الروايات واستخراج

(١) **يوم الخلاص**، مصدر سابق، الصفحة ٥٩٩.

الاستراتيجيات المرتبطة بالانتظار والظهور.

تبويب علامات الظهور

أما على المستوى العام والحكومي، فمن الطبيعي إذا أردنا أن نخطو الخطوة الأولى على مستوى الاقتراب من المعاني الاستراتيجية لهذه الروايات أن نقوم بتبويبها من أجل الوصول إلى الفهم الشامل لمعاني علامات الظهور، ويمكن أن نجعل هذه الروايات والعلامات موزعة على ثلاث فئات عامة وفق نظرة شاملة للروايات التي تصور لنا أحوال العالم على عتبة الظهور.

الفئة الأولى تشمل الروايات التي تبين ظهور التحولات على مستوى الثقافة والأخلاق ونمط العيش في حياة البشر. ويبدو أن الوجهة العامة لهذه الروايات تتجه نحو تصوير نوعٍ من الانحطاط الأخلاقي والحضاري وظهور اضطرابات واسعة في هذا المجال، في المدة التي تسبق الظهور وعلى مستوى العالم وبين الدول الإسلامية. فحب الدنيا، وبيع الدين، وصعوبة حفظ الدين، ورواج الاحتكار والجشع، وانتشار حب الزينة، وتكديس الثروة، وحاكمية الشهوة، وجعل النساء قبلة، والربا، والرشوات، وعدم احترام الصالحين، وتعظيم الأغنياء والفاسقين والفاجرين، ورواج الرياء والتظاهر، وعدم بقاء الحياء والأمانة، وعلانية شرب الخمر وتجويزه، والقمار، وشيوع الظلم والجور، وزوال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكثرة الكذب، واختفاء الصدق، وازدياد العداوة والخصومة، ورواج الزنا واللواط حتى مع الأنعام، والغلاء والغش، ومنع الزكاة، ونكث العهد، وقطع الرحم، وعدم احترام الأب والأم، وتصدع أركان الأسرة، وازياد الحسد والغيبة والبهتان والبخل والتكبر، وحب الذات والخيانة، وتشجيع الإنسان على الأعمال الطالحة من ذوي القربى، وشيوع الغناء والموسيقى ودخولهما المساجد، وأكل أموال الأقارب والأيتام،والغضب، والاحتيال، وتعطيل الحدود الإلهية، وانتشار

الطلاق، وظهور شهادة الزور،والقضاء بخلاف حكم اللّه، وإماتة الصلاة والجماعة، وإشادة البنيان، واختلاف المدن، والإساءة إلى الجار، وقساوة القلب، وتشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء، وركوب ذوات الفروج السروج، ودخول النساء في التجارة طمعًا، وفساد العلماء وخضوعهم لأنظمة الجور، وائتمان الخائن، وطلب العلم لغير اللّه وخلوه من العمل، وهجران القرآن وتزيينه وخضوع قراء القرآن للحكام، وتزيين المساجد وخلوها من الهداية، وتحول الحج عند الأغنياء إلى سياحة، وعند المتوسطين إلى تجارة، وعند الفقراء إلى استجداء، ووصول السفهاء إلى مراكز القوة، ويمكن للنساء والأطفال أن يتخذوا مكانًا في هذه المجموعة[١].

الفئة الثانية من الروايات هي التي تبين وجود نوع من التحول والاضطراب في الطبيعة والبيئة، فظهور وانتشار الأمراض غير المعروفة والتي لا سابق لها، والفيضانات، وسقوط الأمطار في غير وقتها، وغزو الجراد والجوع والقحط، والصواعق والرياح المخربة، وقلة الماء وجفاف الأنهار، والخسوف والكسوف، وتحرر الأرض، وظهور دخان أسود فوق رأس الإنسان، والسكون المؤقت للشمس، وظهور كف في السماء، ووجه قرص الشمس، وطلوع النجم المذنب، واقتران الكواكب وازدياد الزلازل والخسف، و... كل هذه من الموارد التي تدل على علامات الظهور في روايات المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين، والتي يمكن أن نجعلها ضمن هذه الفئة من الروايات[٢].

في النهاية، نجد أنفسنا أمام أحداث ووقائع على المستوى السياسي والعسكري وسط هذه الروايات المرتبطة بالظهور والتي ترجع بشكلٍ أساسي إلى التحولات التي تجري في الدول والأقوام عبر العالم. وفي هذه الفئة من الروايات،

---

(١) **يوم الخلاص**، مصدر سابق، الصفحات من ٦٩٧ إلى ٨١٦.

(٢) المصدر نفسه، الصفحات من ٨١٧ إلى ٨٨٨.

وضمن الإشارة إلى الفتن والهزات العالمية، يتم تصوير التحولات الخاصة في كل بلد أو قوم بصورة واضحة على أعتاب الظهور. وبالطبع، إن دراسة هذه التحولات وإن كانت تبين لنا حصول نوع من الاضطراب العالمي على مستوى العلاقات الدولية، لكنها شاهد واضح أيضًا على أهمية قسم مهم من العالم في الحوادث المرتبطة بهذه المرحلة والذي نعبر عنه اليوم بالشرق الأوسط.

فالفتنة الضالة العمياء التي تشمل كل هذه المنطقة هي فتنة فلسطين واحتلالها، وظهور الأدعياء الدجالين، ومدعي النبوة والمهدوية، وانتقال مركز العلم من الكوفة إلى قم، وقيام رجل من قم، وخروج زنديق من قزوين، وقيام أمير جهجاه على الإيرانيين، والصيحة والنداء في السماء وفتنة المشرق، والفتنة في المغرب، وموت ملك باسم عبداللّه، والاختلاف والقتل، ونهب الحجاج في ذي الحجة، وخراب الكعبة واحتراقها، والمجازر في المدينة، واختلاف أهل الشام وخروج السفياني من الشام، وخروج اليماني، وقيام الخراساني، وهجوم الترك والروم والسفياني على العراق، وقتل العراقيين ونهبهم، والاختلاف بين العرب والمسلمين، وغلبة العجم على العرب، وخروج الدجال وقتل النفس الزكية، وفتح بيت المقدس، والتشكل الجديد لبني العباس وانقراضهم، وقتل حاكم مصر، وخراب خراسان، والكثير من الموارد الأخرى التي يخرج ذكرها عن سعة هذه الرسالة هي من هذه الموارد أيضًا[1].

بنظرة عامة إلى هذه الفئات الثلاث من الروايات يمكن الالتفات إلى عدة مسائل أساسية: الأول، إن طرحها بصورة حكيمة جدًا يمنع أي نوع من التزوير والاستغلال السيئ. نحن نعلم أنه منذ سنوات مديدة كانت الفئة الأولى من الروايات المرتبطة بالظهور، التي تبين حدوث تلك الفتن على المستوى الأخلاقي

(١) المصدر نفسه، الصفحات من ٨٩١ إلى ١١٦١.

والثقافي في المجتمع، كانت مورد استناد الأجيال السابقة، وكل جيل، من أجل اتهام الأجيال اللاحقة بالانحطاط الأخلاقي والثقافي، باعتبار أن ذلك من علامات آخر الزمان. ومن جانب آخر، وجد دائمًا المستغلون الذين كانوا يستفيدون من جهل الناس لتنصيب أنفسهم على أنهم شخصيات آخر الزمان بما في ذلك شخصية حضرة الحجة روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء، واعتبار نهضتهم هي نهضة آخر الزمان. في هذا المجال، فإن اعتماد روايات الفئة الثانية التي تنهض لبيان الأحداث التي تقع في الطبيعة والتي يعد إيجادها خارجًا عن قدرة البشر كعلامة لتفسير العلامات الأخرى التي يمكن الإفادة منها، وبعبارة أخرى، جعل علامات الظهور على نحو تكون الوقائع السياسية والعسكرية متلازمة مع ظهور الانحطاط في الأخلاق الاجتماعية من جانب التحولات والأزمات الطبيعية، كمستند لأجل تشكل الظروف الواقعية للظهور،هو أمر بعيد جدًا بل غير ممكن. وفي هذا المجال، فإن الإحاطة بهذه الرواية المرتبطة بعلامات الظهور ونشرها بين الناس هو أمر مهم جدًا، وضروري، ومصيري.

النقطة الثانية بهذا الخصوص، التي تجعل إمكانية التزوير والوضع بعيدة جدًا، والتي تعد في الوقت نفسه من أهم خصائص آخر الزمان أيضًا، هي واقعية أن الأحداث القريبة من الظهور هي أحداث على مستوًى عالمي لا محلي أو مناطقي. بالطبع، وكما ذكر، إن هذه الأحداث وإن كانت عالميةً لكن لها مركزًا وهي منطقة الشرق الأوسط اليوم التي تمتد من النيل إلى الفرات. يجب الاعتراف والإذعان بأنه وإلى حين تشكل الأوضاع العالمية المعاصرة، لم تقع طوال تاريخ البشرية أحداث يمكن عدها على مستوى علامات آخر الزمان، عالمية. وفي الواقع، إن ما يقدم لنا هدية أو بشرى لآخر الزمان وللظهور تحت عنوان أحد الظروف والشرائط المطلوبة هي الشروط العالمية التي يبدو أننا نعيشها هذه الأيام، إنها ظاهرة، في الوقت الذي ليست مباركة،فإننا نسميها العولمة.

إلى جانب الامتداد العالمي للأحداث المقترن مع الظهور أو القريب منه، يمكن استنباط خاصية أخرى من خلال تحليل الروايات، والتي يمكن التعبير عنها بحسب الاصطلاح الروائي بالفتنة. فهذه الفتنة تنفذ إلى جميع زوايا حياة البشر ولا تنحصر في دائرة خاصة من علاقاتهم الاجتماعية. وبتعبير الروايات ستكون هذه الفتنة الظلام الدامس الذي يدخل إلى كل زاوية وكل بيت ولا يأمن منها أي أحد، «تظلكم كقطع الليل المظلم لا يبقى بيت من بيوت المسلمين ين المشرق والمغرب إلا ودخلته»[1].

وفي النهاية، يبدو لنا أن هذه النقطة بشأن روايات الظهور مهمة جدًا، ويوجد ارتباطٌ جدي وذي مغزى بين كل من هذه العلامات، وكذلك بين كل فئة من الفئات المرتبطة بالعلامات. ففي الواقع، إذا شاهدنا الأزمات والاضطرابات في عالم الطبيعة قريب عصر الظهور، فإنها وبناءً على عقائدنا الإسلامية، ستكون نتيجة ذلك الفساد الأخلاقي الذي أشارت إليه روايات الفئة الأولى. فعلى أساس اعتقاداتنا الدينية، فإن الطبيعة هي مخلوق واعٍ يظهر ردود فعل إزاء ما نقوم به تجاهه. فإذا كان تعاملنا مع الطبيعة وعالم الكائنات مبنيًّا على أساس التدين، فإن الطبيعة ستكون ممتنة لنا:﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].وفي المقابل، إذا كان تعاملنا مع الطبيعة على أساس الغفلة عن ذكر اللّه وقائمًا على الظلم، فإن نتيجته المباشرة ستظهر في حياتنا بصورة الأمراض والمصائب الأخرى:﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[3].

وبناءً على ما لدينا من روايات، فإن هذا ما سيحدث في عصر ما قبل الظهور،

(١) المصدر نفسه، الصفحة ٩٢٥.

(٢) سورة **الأعراف**، الآية ٩٦.

(٣) سورة **طه**، الآية ١٢٤.

فإن فساد الإنسان في الأرض سيجر الطبيعة إلى ردات فعل مقابل أفعاله. وتكون نتيجة كل هذه الأعمال العدوانية المزيد من العداوة والبغضاء التي تسيطر على البشر وتجرهم إلى القتل. وهذا هو معنى الآية الشريفة في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[1].وهذا هو الأمر الذي كانت الملائكة تسأل عنه يوم خلق اللّه آدم:﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾[2].

التصوير العام لشرائط الظهور

بناءً على هذه التوضيحات، يمكن تقديم هذا التصور الكلي تحت عنوان النتيجة العامة، والتي هي في الوقت نفسه نتيجة مهمة حول شرائط آخر الزمان وعصر الظهور، وهي أن هذه الأحداث لن تكون على مستوًى محدود أو منحصر في إطار منطقة تشهد انقلابًا أو تحولًا ما. بل ستمتد هذه الأحداث لتشمل العالم كله وستكون من العمق بحيث تنفذ إلى جميع زوايا الحياة البشرية، وليس هذا سوى معنًى آخر لتحول حضاري كبير تتشكل على أثره حضارة عالمية إلهية.

وببيان آخر، يمكن أن نصور شرائط آخر الزمان وأوضاعه على أساس هذه الروايات على الشكل التالي: وهو أن حضارة غير إلهية، وبعبارة أكثر دقة حضارة شيطانية تصل في مرحلة ما قبل الظهور إلى أوج الاقتدار والتقدم وتظلل كل العالم وجميع أبعاد حياة البشر، وبعد إيجاد الفساد والمشاكل التي تزيد عن الحد في الأرض، ومع يقظة الناس وظهور أمنيتهم للرجوع إلى الأوضاع السابقة على هذه التعقيدات الحضارية، وعطشهم للعدالة العالمية، تتهيأ الأرضية لظهور آخر

(١) سورة **الروم**، الآية ٤١.

(٢) سورة **البقرة**،الآية ٣٠.

الذخائر الإلهية وإقامة الحضارة النهائية والعالمية للإسلام في كل الأرض. ويمكن أن نعبر عن هذا النهج بالتعامل الحضاري مع المهدوية بالإضافة إلى التعامل أو النظر الاستراتيجي.

الدين وتاريخ الحضارة

ها نحن وعلى أساس ما مر إلى الآن، وبإزاء هذه الضرورة وهي أننا مضطرون من أجل الوصول إلى السياسات والاستراتيجيات الواضحة فيما يتعلق بوظائف الشيعة والحكومة الإسلامية في عصر الغيبة، ومن أجل الحركة الجادة والمساعي الحثيثة للوصول إلى الظهور، إننا مضطرون مرةً أخرى لدراسة تاريخ البشرية منذ اللحظة التي وطئ فيها البشر هذه الأرض وإلى عصرنا الحاضر، من زاوية جديدة ومختلفة تمامًا وأن نحللها بدقة ونسعى لتحديد موقعنا الحالي ضمن هذه المسيرة؛ الاتحاد يعني اكتشاف هذا الاتصال والترابط المنطقي والتاريخي والحضاري بين الوقائع والأحداث التي تبدو للوهلة الأولى مشتتة ومبعثرة. في هذه الدراسة، فإن ما سيكون محور المساعي هو التعامل الاستراتيجي والحضاري مع قضية المهدوية حيث يمكن تحقيق ذلك بوضوح من خلال التدبر والتمسك بالثقلين العظيمين ووديعتي رسول اللّه ﷺ وسلم. والواقع أن البشر كانوادومًا في بحث حول ما مر عليهم عبر التاريخ، حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، ولهذا كُتب الكثير حول التاريخ من زوايا مختلفة.

هناك فئة جعلت حياة الملوك والسلاطين وأعمالهم محور حركة التاريخ وجعلت ذلك أهم ما فيه، وأفردت لتاريخ حياة الملوك وسلالاتهم، والتي تلازمت مع الحروب والمعارك والمعاهدات، عنوان تاريخ البشرية. تؤمن هذه الفئة بأن عقائد الحكام وسلائقهم هي المؤثر الأول في كل مرحلة من مراحل التاريخ على صعيد التوجه العام في الاجتماع والتاريخ البشري. فإذا كان الحاكم من أصحاب

الحروب والقتال، فإنه يقضي كل عمره في الحروب والمواجهات ويجعل كل المؤسسات الاجتماعية الأخرى تحت ظل نزعته الحربية ومن أجل خدمة هذه الروحية. على سبيل المثال، نجد أن علم النجوم يتألق في زمان ما عندما يكون في خدمة التوجهات الحربية ويمكن أن يخدم الحكام في تحركاتهم العسكرية. وهكذا، إذا كان بناء الجسور والطرقات والعمارات والقنوات وتوسعة الزراعة وإيجاد الخدمات المتنوعة يخدم مصالحه العسكرية. فإن هذه الأمور ستزدهر مثلما ازدهرت العلوم الكيميائية أو المدارس في العصور الأخيرة.

وفي المقابل، هناك جماعة تؤمن بأن حركة التاريخ وتوجهه العام يعودان إلى مساعي العلماء الذين برزوا في كل زمان والذي كان البلاط أو غيره من المؤسسات تحت تأثيرهم، لا إلى إنجازات الملوك. فإذا أردنا أن نعرف ما جرى على البشرية بالدقة وعبر تاريخها الأرضي المديد يجب علينا أن ندرس تاريخ حياة العلماء ومساعيهم وإنجازاتهم العلمية إلى جانب تأثيرهم على المجتمع والتاريخ، ومنها علاقاتهم ومعاملاتهم مع الملوك والحكام. في هذه الدراسة، لا ينبغي أن نبعد عن أنظارنا الارتباط ما بين المراحل التاريخية المختلفة التي شهدت التحولات العلمية واتصالها التاريخي أيضًا؛ وذلك بمعنى أن قافلة البشرية لم تكن في مسارها التاريخي يومًا مستغنيةً عن إنجازات السابقين، وإن ما بلغته اليوم من عظيم المنزلة إنما كان بفضل الوقوف على أكتاف الماضين الذين قدم كل واحد منهم أمرًا ما على مستوى الإنجازات والمساعي.

ورغم أن الإجابة والواقع يدلان على أن التاريخ يشبه كلًّا منسجمًا ممتدًا لتعامل جميع الفئات، لكننا نواجه هنا أيضًا وقائع أخرى عبر التاريخ، ومنها انبعاث الأنبياء الإلهيين هنا وهناك في العالم وفي مراحل مختلفة، والذي يبدو أيضًا أنه لم يحصل على حظه من الدراسات التاريخية، وكان من أكثر القضايا التي أُغفلت وتم التعامل معها بعدم إنصاف ورحمة، بحيث أصبحت كتب

تاريخ الأنبياء سلام اللّه عليهم أجمعين، من كتب التاريخ التي هي أقرب إلى الكتب القصصية، التي تتم مطالعتها من باب التسلية والفضول، منها إلى الكتب التاريخية التي تدور حولها الدراسات العلمية وتستخرج منها النتائج الجدية؛ هذا في حين أن قسمًا مهمًا جدًا من الثقل الأكبر، أي القرآن الكريم، والذي كان قد أشيد ليكون مورد تمسكنًا على مر التاريخ، يختص بهذا النوع من تاريخ البشر، وإن هذا الكتاب الإلهي العظيم مشحون بأغلبه بالاهتمام بهذه النقطة وهي أنه يجب مطالعة ماضي الأنبياء وقصصهم سلام اللّه عليهم أجمعين بدقة واستخراج العبر منها.

في ظل هذه الغفلة الكبرى، التي لعلها كانت مقصودة، فإن ظاهر المسار التاريخي يبين أن تاريخ البشر لم يكن يومًا مستغنيًا عن الأنبياء الإلهيين في حركته على صعيد الأبعاد المختلفة؛ وكان كل حينٍ يشهد انبعاث نبي يقوم بإعادة هذه المجتمعات التاريخية إلى صوابها ويدعوهم إلى سلوك طريق اللّه. ولا شك بأن هذا التاريخ قد شهد مواجهةً كبرى بين المؤمنين بهذه الدعوى والمخالفين لها، أدت في النهاية إلى قبول البعض أو رفضهم، وتبع ذلك نزول العذاب الإلهي واضمحلال المخالفين، ثم كان يحدث في مكان آخر من العالم فساد وانحراف شديدين، فيؤمر النبي الآخر بالظهور في هذا المكان وإبلاغ الرسالة الإلهية.

في هذا النحو من التعاطي مع تاريخ الأنبياء سلام اللّه عليهم، لا يوجد ارتباط جدي بين الأنبياء أنفسهم، ولا يوجد بين دعوتهم وغيرها من المؤسسات تأثير على جريان التاريخ بصورة مستمرة وذات مغزى. في الواقع، إن المساعي المتناثرة للأنبياء سلام اللّه عليهم أجمعين، وفق هذه النظرة، هي مساعٍ عارضة، بالطبع إيجابية، على الجريان الطبيعي لتطور المجتمعات البشرية على مر التاريخ، والذي نسميه نحن بالحضارة. إن ما يتمتع به البشر في يومنا هذا هو نتيجة الفعل والانفعال الطبيعيين لهذا المسار الحضاري الذي كان دور الأنبياء

سلام اللّه عليهم أجمعين، فيه مهمشًا ولم يكن مورد توجه علمي.

بالطبع، يوجد هنا نقطة جديرة بالذكر وهي أنه في العصر الحديث، أصبح هناك توجه خاص وعلمي إلى جانب من تاريخ الأنبياء سلام اللّه عليهم أجمعين ومساعيهم والذي نعبر عنه نحن باسم تاريخ الأديان، وهذا التعامل يجيز ورود الدوائر والفروع العلمية المعاصرة لمقولة الدين وقصص الأنبياء سلام اللّه عليهم أجمعين. وهذا المسار بدوره، أصبح سببًا لتشكل التوجهات العلمية المختلفة لمعرفة المجتمع والجماهير وعلم النفس الديني. ما يستحق التنبه إليه في هذا النظام العلمي بشكلٍ خاص هو خلوه من العملية التي أشار إليها القرآن الكريم بخصوص الدين وبعثة الأنبياء سلام اللّه عليهم أجمعين.

بناءً على التعاليم القرآنية، فإن تاريخ البشرية قد بدأ مع قضية الدين، وإن كل هذا التاريخ هو عبارة عن مسار مواجهة بين جبهتي الحق والباطل، والأصالة فيها هي لجبهة الحق، وإن نهاية التاريخ وعاقبته ستكون أيضًا بيد الدين وسلطته. أما في الدراسات الدينية المعاصرة، فإن الاعتقاد السائد هو أن تاريخ البشر قد بدأ مع الشرك ووصل بعد عدة مراحل إلى حاكمية الدين. وهكذا، كانوا يعتبرون العصر الحديث الذي شهد ابتعادًا عن الدين من قبل الناس، إلى حين حصول الثورة الإسلامية وانبعاث أمواجٍ جديدة من التوجه إلى الدين وانبعاث المعنويات في العالم، كمرحلة من مراحل الدين التكاملية في مجال علاقة الإنسان بالدين.

في النهاية، وعلى أساس هذا الدوران الملفت نفسه في النظر إلى دور الدين والأنبياء في التاريخ، حدث هذا التوسع المهم على مستوى الدراسات التاريخية وكتابة التاريخ باسم تاريخ الحضارة. ففي هذا النوع من إعادة إنتاج التاريخ لم تكن حياة البشر على الأرض مبنية فقط على الشرك في البداية، والشرك هو الجهل، بل إن هذا الجهل هو الذي سمح أيضًا بدخول الدين في الحياة. من

الطبيعي بناءً عليه، ألا يكون هناك احتياج إلى الدين بعد التطور العلمي في المجتمعات ووقوف الإنسان على قدميه، أو أن يكون هذا الاحتياج قد قل إلى الدرجة التي أصبح فيها الإنسان تحت عنوان الرب الجديد على رأس تاريخه، ومن الواضح أنه في مثل هذا النوع من الدراسات التاريخية سيعتبر عصر النهضة نقطة التحول الكبرى في التاريخ البشري، وسيشكل العصر الحديث أيضًا بنظره نقطة ذروة هذا التكامل. وفي هذا المجال وبتعبير فوكوياما وهانتغتن بشأن استشراف مستقبل العالم، فإن الليبرالية الديمقراطية ستكون هي آخر ما سيصل إليه الإنسان في مساره التاريخي.

بالطبع، يوجد في مقابل هذا الاعتقاد الذي ينظر إلى دور الأنبياء الإلهيين سلام اللّه عليهم أجمعين، على أنه دور هامشي في تشكل التاريخ والحضارة، رؤية تقول بأن كل ما نراه اليوم بعنوان تجليات الحضارة البشرية الواقعية فإنه نتيجة ومساعي وتعاليم هذه الجماعة من الأنبياء على مر التاريخ. ويلزم وفق هذه الرؤية بأن يكون كل ما هو بعيد عن إشراف الأنبياء العظام سلام اللّه عليهم أجمعين ومضاف على حياة البشرية في العصر الحديث عبارة عن تدخل غير صحيح على مستوى مسار بناء الحضارة ومن الطبيعي أن يكون عبثًا وباطلًا.

«على أساس آيات القرآن والروايات المتضافرة، فإن اللّه تعالى كما يكون معلم الإنسان وقائده في الأمور الدينية والأخروية بواسطة الأنبياء ولم يتركه ليدبر ذلك بنفسه وعلى أساس تجاربه، كذلك هو الرب المتعال والمعلم في ساحة المعاش والحياة المادية، وقد علمه كل ما يرتبط بهذه الحياة الدنيا من أبسط أمورها إلى أعقدها بواسطة أنبيائه ورسله. كان الأنبياء هم أساس وأصل الحضارة؛ بالطبع، الحضارة المتوازنة العارية عن الإسراف والتبذير والاعتداء والتكاثر التي تُعد جميعًا أساس وقوع الإنسان في نير العبودية. وفي هذا المجال أيضًا، لم يترك اللّه تعالى هذا الإنسان مستقلا في كشوفاته العلمية واختراعاته وصناعاته.

.. وأما التغيير والتحول والطفرة في العلوم والفنون بعد عصر النهضة، كل ذلك حدث من خلال الانطلاق من الميراث العلمي والغني للأنبياء والحضارات التي تأسست على يد تعاليمهم، وبالطبع، ما كان بالإمكان لهذه الاكتشافات والاختراعات أن تتحقق من دون هذا الميراث. وعلى هذا الأساس، فنحن نتفق مع القائل بأنه يمكن للبشرية نشر العلوم والفنون بالانطلاق من المعلومات والمعارف المتقدمة. لكن مدعانا في هذه المقالة بعد إثبات مصدر الكشف عن العلوم والفنون المعاشة في الحضارات السابقة (باستثناء الموارد التي كان للإنسان الدور المباشر في نشر بعض العلوم والفنون نتيجة التعاليم الشيطانية) وعدم قدرة الإنسان على اكتشافها، هو أن الإنسان الجديد قد قام بنشر العلوم والفنون الطبيعية بدون حجة إلهية وانطلاقًا من ذاته وأهوائه، ولهذا، فإنه في النهاية قد وقع في مصيبة هذا التقدم العلمي والتقني وعرض البشرية كلها للكثير من الأزمات»[1].

إن موضوع نقد الحضارة الحديثة وبيان مدى علاقتها ونسبتها إلى تعاليم الأنبياء سلام اللّه عليهم أجمعين وإن كان موضوعًا مهمًا جدًا وجديرًا بالبحث، ولكن بالالتفات إلى رسالة هذه المقالة وسير المباحث فيها، فإننا في الختام نكتفي ببيان هذا الاختلاف وهو أن دور الأنبياء الإلهيين سلام اللّه عليهم أجمعين هو دور غير قابل للإنكار على مر التاريخ في هداية قافلة البشرية في أمور الدين والدنيا، وبالطبع، يوجد هنا أنواع من التضليل والمساعي التي بذلها المخالفون لهم، وبشكل عام الصراع بين جبهتي الحق والباطل في المجموع لها تأثير بالغ في إيصالنا إلى موقعيتنا الحالية.

(١) مهدي النصيري، **الإسلام والتجدد** (طهران: كتاب الصبح، الطبعة ٢، ١٣٨١) الصفحات من ٤٥ إلى ٤٧.

نهاية الحديث بداية البحث

يمكن لهذا الموضوع الفائق الأهمية بشأن تعاملنا الحضاري مع قضية المهدوية أن يشكل مفهومًا محوريًا في تحليل وتدوين تاريخ الحضارات الإنسانية. في دراسة المتون والأدبيات التاريخية للحضارة، نصل إلى هذه النقطة وهي أن كل أطروحة أو مذهب فكري قد اعتبر المفهوم المحوري لتحليل التاريخ وقد سعت كل أطروحة فكرية أن تفسر التاريخ على أساسه.

في هذا المجال، ومن خلال الرؤية المهدوية يمكن أن نسعى لنجعل مبدأ «صراع الحق والباطل» عنوان المفهوم المحوري في التدوين الجديد والمختلف جدا للحضارات. وعلى هذا الأساس ولأجل الوصول إلى الفهم الكلي لتاريخ الحضارة البشرية ودور الأنبياء سلام اللّه عليهم أجمعين في تشكلها، من الجدير دراسة ظاهرة إرسال الرسل وبعث الأنبياء الإلهيين سلام اللّه عليهم أجمعين على أساس أنها عملية متصلة متسلسلة على مر التاريخ.

لا شك بأن دراسة وتحليل التيار المقابل لخط الأنبياء وهو خط الطواغيت ودور الشيطان وحزبه وكذلك أوليائه وجنوده جديرة بالاهتمام الخاص، على أمل الوصول يومًا إلى تدوين مفصل لتاريخ الحضارات البشرية كما حصلت بمعونة المفكرين المؤمنين لتكون من أهم تجليات نهضة البرمجيات. أما ما يمكن بيانه كنتيجة سريعة لهذه الدراسة فهو هذه الحقيقة وهي أنه في العصر الحديث ومع ظهور الثورة الإسلامية المباركة بالتزامن مع بروز الفساد والوهن في أركان وقواعد الحضارة الشيطانية للغرب، يبدو أن النهضة المعرفية لعظماء الشيعة في تربية أجيال شيعة آخر الزمان قد آتت ثمارها ونحن على عتبة تحول عظيم على صعيد مسيرة استقرار حكومة الإسلام العالمية. ولذلك لا ينبغي النظر إلىالثورة الإسلامية في إيران كنهضة لأجل تغيير حكومة في بلد ما أو ثورة من أجل إعمار ذلك البلد،

بل إن الثورة الإسلامية هي ثمرة مساعي الأنبياء الإلهيين العظام سلام اللّه عليهم أجمعين لعدة آلاف من السنين ومسيرة حزب اللّه ومقدمة جدية للظهور الموفور السرور لقطب عالم الإمكان روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء، فيما لو كنا واعين وعملنا بتكليفنا.

المصادر

- القرآن الكريم.

- الإمام الخميني (رض)، **صحيفة الثورة الإسلامية: الوصية السياسية الإلهية ـ الركائز الإلهية للجمهورية الإسلامية الإيرانية** (طهران: مؤسسة ثقافة قيمة الولاية، الطبعة ١٠، ١٣٧٨).

- السيد هاشم البحراني، **البرهان في تفسير القرآن** (طهران، مؤسسة البعثة، ١٤١٥ هـ.ق).

- كامل سليمان، **يوم الخلاص**، ترجمة علي أكبر مهدي بور (طهران: نشر الآفاق، الطبعة الرابعة، ١٣٨١).

- الشيخ الحر العاملي، **وسائل الشيعة** (قم: مؤسسة أهل البيت، ١٤٠٩ هـ.ق).

- محمد باقر المجلسي، **المهدي الموعود**، **بحار الأنوار**، ترجمة علي دواني (دار الكتب الإسلامية، ١٣٥٠).

- مهدي النصيري، **الإسلام والتجدد** (طهران: كتاب الصبح، الطبعة ٢، ١٣٨١).

- محمد بن إبراهيم النعماني، **الغيبة** (طهران: مكتبة الصدوق، ١٣٩٧ هـ.ق).